بسم الله الرحمن الرحيم

محفوظة
جميع الحقوق

الطبعة الأولى
١٤٤٥هـ

أهل البيت عليهم السلام

وجدليّة الغلو والتقصير

ضياء السيّد عدنان الخبّاز القطيفي

الافتتاحية

قال العلامة المجلسي (قُدّس سرّه الشريف):

(ولكن أفرط بعض المتكلّمين والمحدّثين في الغلو ، لقصورهم عن معرفة الأئمة عليهم السلام ، وعجزهم عن إدراك غرائب أحوالهم وعجائب شؤونهم، فقدحوا في كثير من الرواة الثقات ، لنقلهم بعض غرائب المعجزات، حتى قال بعضهم : «من الغلو نفي السهو عنهم »، أو القول: « بأنهم يعلمون ما كان وما يكون » وغير ذلك، مع أنه قد ورد في أخبار كثيرة : « لا تقولوا فينا أربابًا وقولوا ما شئتم ولن تبلغوا»، وورد: «إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب، أو نبي مرسل، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان » ، وورد : «لو علم أبو ذر ما في قلب سلمان لقتله»، وغير ذلك مما مرَّ وسيأتي.

فلابدَّ للمؤمن المتديّن ألا يبادر بردِّ ما ورد عنهم من فضائلهم ومعجزاتهم ومعالي أمورهم، إلا إذا ثبت خلافه بضرورة الدين، أو بقواطع البراهين ، أو بالآيات المحكمة ، أو بالأخبار المتواترة ، كما مرَّ في باب التسليم وغيره)[1].

(١)بحار الأنوار: ٢٥ / ٣٤٧.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله ربِّ العالمين ، وصلى الله على أشرف بريتهِ وخير خلقهِ محمدٍ وآلهِ الطيّبين الطاهرين ، واللعنةُ الدائمة على أعدائهم أجمعين .

(١)

إنَّ الغلوَّ في الأئمة الطاهرين عليهم السلام من الظواهر المؤسفة التي مُنيَ بها المعصومون عليهم السلام منذ أيّام وجودهم ، وقد كانت للغلاة عدّة مقالات باطلة يجاهرون بها ، ورغم أنّها لم تكن تمتُّ للأئمة عليهم السلام بأدنى صلة ، بل كانت على خلاف مبادئهم السامية ومنهجهم اللاحب ، إلا أنَّ الغلاة –ولدوافع متعددة – كانوا يحاولون إلصاقها وإلصاق أنفسهم بأهل البيت عليهم السلام ، ويسعون جاهدين لاتخاذ محبة أهل البيت عليهم السلام شعاراً لهم ، ليبرّروا من خلاله تصرفاتهم ، وينشروا تحت مظلته أفكارهم .

وإنَّ بعض تلك المقالات – التي سنتعرض لبيانها ضمن هذا الكتاب – قد بدأت تلوح في الأفق في زماننا هذا ؛ إذ تبنّاها بعض الشواذّ من الشيعة ، ممّن لا أثرة لهم في علم ولا سابقة لهم في عمل ، وصاروا يحاولون ترويجها في العالم الشيعي .

وكما وقف أئمتنا عليهم السلام من غلاة ذلك الزمان مواقف صارمة ، صيانة منهم للدين وعقائد المؤمنين ، فقد وقفت المرجعية العليا (أدام الله بركة وجودها) نفس الموقف من غلاة هذا الزمان ، وحذرت المؤمنين من الانتماء إليهم والانصياع لزيف دعاواهم وأراجيفهم ، حفظاً لقلعة التشيّع الحصينة ومعالمها الشامخة .

وبموقفها الحازم هذا قد استطاعت أن تحسم الخلاف والجدل – الدائر في الساحة الشيعيّة – حول أهميّة التصدّي للغلاة ، فإنَّها القائمة مقام المعصوم عليه السلام في زمن غيبته ، ولها القول الفصل في القضايا المصيريّة التي تخصُّ عالم التشيّع ، فإذا قالت كلمتها ذهب كلُّ قولٍ قبالها أدراج الرياح .

(٢)

ولا تتوهم أنَّ موقف المرجعية العليا ينطلق من فراغ ، أو من استقراء ناقص لأوضاع الساحة ومستجداتها ، كلا ، بل إنّه ينطلق من متابعةٍ جادّة ، وبصيرة ثاقبة، وحكمة صائبة ، واستقراء تام ، ومعرفة دقيقة بجميع ما يُحاك للتشيّع من خطط خبيثة وأحابيل خادعة .

وإنّنا حين حاولنا أن نقف على بعض ما وقفت عليه المرجعيّة المباركة عرفنا أنَّ وراء الأكمة ما وراءها ، وأنَّ هناك فكراً شاذّاً وخطيراً يحاول التمدُّد والانتشار ، تتبناه جماعاتٌ مشبوهةٌ ومريبة ، وهدفه إعادة إحياء مقالات الغلاة الفاسدة نشطة وفاعلة ، وبعث تيّار الغلو – بما يحمله من الأفكار الملوّثة – في الساحة الشيعية من جديد ، وهو ما أدركت المرجعية خطره الجسيم فسعت لوأده في مهده ، قبل أن يكبر ويستفحل فتكون مهمّة القضاء عليه مهمّة شاقة وصعبة .

وحتى لو تمّت هذه المهمّة حينها فإنّها لا تتم إلا بعد خسائر فادحة ، ولن يتحمل تبعتها إلا مذهب أهل البيت عليهم السلام ، الذي تكالبت الدنيا على محوه وطمسه، ولكنّه كالعود العاطر لا يزداد بكثرة الإحراق إلا انتشاراً وطيباً .

(٣)

وإلى جانب هذا التيّار الشاذ فإنَّ هنالك تيّاراً آخر لا يقلُّ عنه خطورة ، وهو أوسع منه دائرة وأشدُّ ضراوة وأكثر عدداً وأكبر جنداً ، ألا وهو تيّار التقصير ، ولا زال هذا التيّار ينمو ويتمدد في مختلف مناطق العالم الشيعي ، ولم يترك المنتمون لهذا

التيّار والمروّجون له – تحت شعارات مختلفة – فضيلة من فضائل أهل البيت عليهم السلام إلا وشكّكوا فيها ، ولا منقبةً من مناقبهم إلا ووجّهوا سهامهم إليها .

وكلما حدثتهم بشأنٍ من شؤون أهل البيت عليهم السلام ، أو مقام من مقاماتهم ، أو كمال من كمالاتهم ، كبُرَ عليهم ذلك وثقُل على نفوسهم ، ولا تكاد تهدأ نفوسهم المريضة وعقولهم القاصرة إلا إذا استصغروا أهل البيت عليهم السلام وحجّموهم ، واعتبروهم كسائر البشر ، لا ميزة تميّزهم ، ولا خصوصيّة تخصهم ، وإن حاولوا الارتقاء بمعتقدهم فيهم لم يعتبروهم أكثر من (علماء أبرار) .

(٤)

وكنتُ – منذ سنوات عديدة – كلّما نشط أحد هذين التيّارين – وحاولَ تسليل شيء من أفكارهِ المنحرفة إلى العالم الشيعي – أجعله نصب اهتمامي ، وأحاول أن أظهر زيفه وأردَّ أباطيله بمقدار وسعي ، مما جعلني أتعرّض للمقصّرة والتقصير تارة بل تارات ، وتاراتٍ أخرى للغلوّ والغلاة ، وقد ارتأى بعض الأعزّة « حفظه الله تعالى ، وأدام توفيقه » أن يجمع تلك المحاضرات المتناثرة ، وينظمها في سلكٍ واحد ، فكانت عبارةً عن هذا الكتاب الماثل بين يديك .

ولقد بذلتُ جهدي في متابعة عمله ، فصححتُ وحذفتُ وأضفتُ وأوضحتُ بالمقدار الذي رأيتهُ مهمّاً ولازماً ، فإن كنتُ قد وُفقتُ في عملي فذاك غاية أملي ، وإن لم أوفّق فحسبي أنني قد بذلت قصارى جهدي ، ولا غاية لي من وراء ذلك إلا نيل رضا الله تعالى وأوليائه عليهم السلام .

وكلُّ ما أرجوه من المولى الكريم (تبارك وتعالى) هو أن يتقبّل هذا الجهد منّي وممّن آزرني فيه – تقريراً وتنضيداً وإخراجاً – بأحسن القبول ، ويجعلني وإيّاهم من أهل النمرقة الوسطى التي يرجع إليها الغالي ويلحق بها التالي ، ويثبّت أقدامنا جميعاً على نهجهِ القويم وصراطهِ المستقيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين ، وصلّى الله على خاتم أنبيائه وآله الطاهرين عليهم السلام .

ضياء بن المرحوم السيّد عدنان الخبّاز

القطيف – حي المدارس

يوم السبت – غرّة شهر رجب الأصب

ميلاد الإمام الباقر عليه السلام – ١٤٤٥ هـ

الفهرس

الافتتاحية ٥
المقدمة ٧

الفصل الأول : أهمية معرفة المعصوم عليه السلام

تمهيدٌ ١٣
النقطة الأولى : قنوات معرفة المعصوم عليه السلام ١٤
القناة الأولى : المعرفة النسبية ١٤
القناة الثانية : المعرفة العددية ١٥
إشكالٌ حول روايات الاثني عشر ١٧
دفعُ الإشكال ١٧
القناة الثالثة : المعرفة الشخصية ١٨
القناة الرابعة: المعرفة الصفتية ١٩
النقطة الثانية : مراتب المعرفة الصفتية ٢٠
المرتبة الأولى: المعرفة الجلالية ٢٠
المرتبة الثانية : المعرفة الجمالية ٢٠
المرتبة الثالثة : المعرفة الكمالية ٢١
النقطة الثالثة : ثمرات المعرفة الجمالية ٢١

وقفة مع رواية (علم لا ينفع من علمه ، ولا يضر من جهله) ٢٢
الثمرة الأولى : الوصول إلى الغاية من الخلق..... ٢٤
الثمرة الثانية: علوُّ الدرجة..... ٢٥
الثمرة الثالثة: التأثير السلوكي ٢٦
الثمرة الرابعة : النأي عن محذوري الغلو والتقصير ٢٨
المحذور الأول : محذور الغلو..... ٢٨
المحذور الثاني: محذور التقصير ٢٨

الفصل الثاني : محذور الغلو

الزاوية الأولى : الزاوية اللغوية..... ٣٣
الزاوية الثانية : الزاوية الفقهية ٣٤
أقسام الغلاة ٣٧
الزاوية الثالثة: الزاوية الحديثية..... ٤٢
المقالة الأولى : مقالة الربوبية..... ٤٣
الوقفة الأولى : هل يصحّ إطلاق لفظ الرب على أهل البيت عليهم السلام ؟..... ٤٤
أقسام الألفاظ التي تطلق على الله تعالى..... ٤٥
فتوى مرجع الطائفة السيّد السيستاني (دام ظله)..... ٤٧
الوقفة الثانية : صحة روايات (نزِّهونا عن الربوبية). ٤٨
وقفةٌ مع مفردة (نزِّهونا) ٥٠

لفتةٌ مهمةٌ حول منهج المحقق الخوئي (قده) في التوثيق والتضعيف ... ٥٢
الوقفة الثالثة: معنى (وقولوا فينا ما شئتم). ٥٢
المقالة الثانية : علم الغيب..... ٥٨
المقالة الثالثة : التفويض ٦٢
بعض كلمات الأعلام حول التفويض ٦٥
التفويض التشريعي ٧١
التفويض التكويني ٧٥
لماذا لم يدفع الأئمة عليهم السلام القتل عن أنفسهم؟..... ٧٧
تنبيهاتٌ مهمّة..... ٧٩
١ – التنبيهُ الأوّل : تفويضُ خصوص الخلق والرزق ٧٩
٢ – التنبيهُ الثاني : إسنادُ الخلق والرزق إلى المعصوم عليه السلام إسنادًا مجازيًّا..... ٨٩
٣ – التنبيه الثالث: إضاءةٌ حول القول بأنَّ أهل البيت عليهم السلام هم العلّة الفاعلية.. ٩٢
٤ – التنبيه الرابع : وقفة مع العلامة المجلسي (أعلى الله درجته) حول تقسيمه للتفويض ٩٤
المقالة الرابعة : نبوّة الأئمة عليهم السلام..... ٩٩
وقفةٌ مع أفضلية الإمامة على النبوة..... ٩٩
المقالة الخامسة : إسقاط التكاليف الشرعية ١٠١
الزاوية الرابعة : الزاوية الرجالية..... ١٠٥
الجهة الأولى : موقف أهل البيت عليهم السلام من الغلاة ١٠٥

الأسلوب الأول : لعنهم والبراءة منهم. ١٠٥
الأسلوب الثاني : إقصاؤهم والدعوة إلى مقاطعتهم مقاطعة اجتماعية. . ١٠٦
الأسلوب الثالث : التصريح بكفرهم. ١٠٧
فلسفة هذه المواجهة الحادّة ١٠٧
سرُّ خلود التشيّع ١٠٧
الجهة الثانية : ما هي نسبة الغلاة في رواة الشيعة؟..... ١٠٨
الجهة الثالثة : هل الغلو يوجب القدح في الرواية؟..... ١١٠
كلمات الأعلام في الرواة المتّهمين بالغلو..... ١١٦
الزاوية الخامسة : الزاوية التحليلية. ١٢٠
التساؤل الأول : لماذا تنحصر ظاهرة الغلو بأهل البيت عليهم السلام دون غيرهم؟ .. ١٢٠
التساؤل الثاني : ما هي عوامل ودوافع الغلو في أهل البيت عليهم السلام؟ ١٢٢
العامل الأول : العامل المعرفي. ١٢٢
العامل الثاني : العامل العاطفي. ١٢٤
وقفةٌ مع الشهادة الثالثة في التشهد ١٢٥
العامل الثالث : العامل الخارجي ١٣١
العامل الرابع : العامل المصلحي..... ١٣٤
العامل الخامس : العامل التبريري. ١٣٤

الفصل الثالث : محذور التقصير

الزاوية الأولى: الزاوية اللغوية ١٤٠
تنبيه ١٤١
الزاوية الثانية: الزاوية الحديثية..... ١٤٢
معنى التقصير في الروايات الشريفة ١٤٣
المعنى الأول: إهمال معرفتهم عليهم السلام ١٤٣
المعنى الثاني : إنقاصهم عليهم السلام بعض ما ثبت لهم من الشؤون والمقامات. . ١٤٤
وقفة مع عبارة (رأي المعصوم) ١٤٧
المعنى الثالث : الشكّ في مقاماتهم عليهم السلام ١٤٨
المعنى الرابع : إعطاء ما لهم عليهم السلام لغيرهم ١٤٩
وقفةٌ مع الصلاة على الصحابة المنتجبين ١٥٠
١ . النقطة الأولى : الصلاة على الصحابة المنتجبين في الأدعية ١٥٠
٢ . النقطة الثانية : كيفية التعامل مع الأدعية الشريفة ١٥١
أ – الحيثيّة الأولى : حيثيّة قراءتها ١٥١
ب– الحيثيّة الثانية : حيثيّة قراءة الصيغة المذكورة في غير تلكم الأدعية . ١٥٢
ج – الحيثيّة الثالثة : حيثيّة إسناد مضامينها إلى المعصوم عليه السلام ١٥٣
د – الحيثيّة الرابعة : حيثيّة العمل أو الاعتقاد بمضمون الأدعية .. ١٥٣
٣ . النقطة الثالثة : التصوير العقائدي لمسألة تشريك الأصحاب في الصلاة على النبي والآل عليهم السلام ١٥٥

٤ . النقطة الرابعة : الموقف من تشريك الأصحاب في الصلاة على النبي الأعظم وآله عليهم السلام ١٥٧
الزاوية الثالثة : الزاوية التحليلية ١٦٠
العامل الأول : تدنّي المستوى المعرفي ١٦٠
الشاهد الأول : تبنّي الرؤية البشرية للمعصوم عليه السلام. ١٦٢
وقفةٌ مع خطورة إغفال الجانب البشري في شخصية المعصوم ١٦٧
الشاهد الثاني : مظهرية الزهراء عليها السلام للرضا والغضب الإلهيين ١٦٨
العامل الثاني : فرض التصوّرات القبليّة..... ١٦٩
العامل الثالث : الانبهار بالنظريات العلمية ١٧١
العامل الرابع : إعمال الذائقة الخاصة..... ١٧٣
العامل الخامس : التمسّك بالأحاديث المتشابهة. ١٧٦
العامل السادس : الحسد ١٧٧
العامل السابع : الغرور المعرفي..... ١٧٩
الزيارة الجامعة والغلو..... ١٨٠
كلمةٌ حول الزيارة الجامعة..... ١٨٣
فهرس المصادر..... ١٨٧
الفهرس ١٩٩

﴿وصلّى الله على محمد وآله الطاهرين﴾